الفصل السادس

كتب الأطفال..وتنمية الذكاء

" يقوم كتاب الطفل بدور مهم في تنمية ذكاء الطفل، إذا قُدِّم بشكلٍ جيد، بحيث يكون جيد المضمون، جميل الإخراج.

وكما هو معروف فإنَّ الكتاب يُنمِّي الذاكرة، وهي قدرة من القدرات العقليَّة المهمة، والتعامُّل مع الكتاب يُساعد علي تقويتها بلا شك .هذا.. ويمكن تفعيلها بشكلٍ أفضل بإتباع أسلوب التربية المستديمة، الذي يقوم بدوره، علي شحذ مواهب الابتكار والإبداع والتفكير، وهو ما يمكن تحقيقه باستخدام الكتاب كوسيلةٍ تعليميةٍ مهمةٍ.

بل إن الكتاب يمكن أن يُحوِّل تعليم الطفل إلي متعةٍ، ويُحوِّل المتعة التي يشعر بها الطفل أثناء القراءة إلي تعلُّم جاد ومثمر، فكتاب الطفل الجيد يفتح شهية الأطفال للمعرفة وتذوق الأدب في كُلِّ صوره، وزيادة مستوي تحصيله وذكائه.

وقد يتصوَّر البعض أنَّ الطفل لا حاجة به إلي الكتاب إلاَّ بعد دخوله المدرسة وتعلُّمه القراءة ، وما أشد خطأ هذا الاعتقاد، فالطفل الذي نتركه بغير كتاب حتي سن المدرسة، سيواجه صعوبات كثيرة في علاقته بالكتاب.

وكتاب الأطفال يُقدِّم لنا أدب الأطفال، في شتي صوره ومجالاته، فأدب الأطفال له أهمية قصوى في تنشئة الصِّغار وتربيتهم، ومساعدتهم علي تحقيق النموّ السليم المتكامل في

مختلف النواحي، وخصوصاً النواحي الثقافيَّة والخُلقيَّة والروحيَّة والعقليَّة، ممَّا يجعله يُساهم مساهمة كبيرة ومباشرة علي تنمية ذكاء الطفل.

♦الكتاب المثالي للطفل:

عند اختيارنا الكتاب المناسب للطفل ينبغي معرفة المرحلة العُمْرية له، فكُلِّ مرحلة لها خصائصها واحتياجاتها لنوعية الكتب، ولهذا تمَّ تقسيم هذه المراحل من قِبَل الباحثين في شؤون الطفل ليعرف الآباء والمُعلِّمين وأمناء المكتبات نوعية الكتاب المناسب للطفل في مراحل نموه المختلفة.

وهناك سمات مهمة وضرورية للكتاب المثالي الذي يجذب الطفل، ينبغي على المهتمين بهذا الأمر الالتفات إليها شكلاً ومضموناً. فالطفل أوَّل ما تقع عليه عينيه «الشكل الخارجي » للكتاب، والذي يتمثَّل في:

١. **الغلاف**: حيث ينبغي أن يكون جذاباً، وذو ألوان براقة ومصقولة.

٢. **الصور:** أن نهتم بالصور التعريفية، وهي في الغالب أكثر من الكلمات المكتوبة، وينبغي أن تكون جذابة وملفتة لنظر الطفل ومتقنة بشكل يفتح ذهنه للقراءة.

٣. **الـورق:** ينبغـي أن يكـون بجـودةٍ عاليـة، وبـوزنٍ مناسـب بحيـث لا يكـون سـريع التلـف أو التمـزق نظـراً لعبـث بعـض الأطفـال وعـدم القـدرة في التحكُّم علـى بعـض تصرفاتهـم.

٤. **الحجـم:** طـول الكتـاب وعرضـه وسُـمك الـورق يجـب أن يتناسـب مـع سـن الطفـل.

٥. **مقاسـات الأحـرف:** لابـدّ أن تكـون مقاسـات الأحـرف كبيـرة ليسـهل قراءتهـا في هـذه المراحـل العُمُريـة الصَّغيـرة، وهـي في الغالـب تقـل حجمـاً مـع تقـدُّم عُمُـر الطفـل.

٦. **المضمـون:** يجـب أن يكـون الأسـلوب بسـيط وواضـح، وبعيـد تمامـاً عـن الأخطـاء الإملائيـة والنحويـة.

♦ **أنواع كتب الأطفال:**

أولاً: الكتب العلميَّة:

تنميـة التفكيـر العلمـي لـدي الطفـل يعـد مؤشـراً مهمـاً للـذكاء، وتنميتـه، فالكتـاب العلمـي يُسـاعد علـي تنميـة هـذا الـذكاء عـن طريـق عـدة وسـائل، ولـم لا وهـو يـؤدي إلـي تقـديم التفكيـر العلمـي المنظـم في عقـل الطفـل، وبالتالـي يسـاعده علـي تنميـة الـذكاء والابتـكار ويـؤدي إلـي تطويـر القـدرة العقليَّـة للطفـل.

أهداف الكتب والبرامج العلميَّة:

الهدف الأساس من الكتب والبرامج العلميَّة الإسهام في تنمية وتطوير عقول الأطفال، لأنَّ الكتب العلميَّة في استطاعتها أن تتبني المفاهيم العلميَّة الأساسية للأطفال، فهي تبدأ بالزمان والمكان، ثُمَّ تتناول التغيُّر والتكيُّف، ثُمَّ تُقدِّم التنوُّع والترابط والطاقة، وكُلَّها أهداف وحاور التفكير العلمي المنظم عبر المراحل السنية المختلفة.

كما يمكن الاستفادة من الأخبار والأنباء العلميَّة كمحور للحديث الشيق والمثير، لتقديم الكتب والبرامج العلميَّة للأطفال، وتوجيه هذه الكتب والبرامج لمختلف الأعمار.

والأهداف تساعدنا علي بلوغ الغايات إذا أحسنا تنفيذها وتطبيقها في حياتنا وفي عائلاتنا وفي مدارسنا وفي وسائل إعلامنا.

وتنبع الأهداف العامَّة من تقديم العلوم للأطفال فيما يلي:

١. تمكين الطفل من اكتساب القدرة علي التفكير بدقةٍ لا يشوبها أي تناقض منطقي.

٢. تنمية الفضول العلمي والفكري وحُبّ الاستطلاع لدي الأطفال ، واستثارة اهتمامهم بأن نطالعهم علي أصل المفاهيم، وأن ندعهم يبحثون ويكتشفون بأنفسهم ما يتعيَّن عليهم تعلُّمه من حقائق وأفكار.

٣. تنمية الفكر الاحتمالي إلي جانب التفكير العلمي.

٤. تنمية قدرة الطفل علي إدراك المشكلات واكتشافها،لا مُجرَّد إيجاد الحلول لما يُعرض عليه من منبهات.

٥. المدرسة تقوم بنصيب مهم في سبيل غرس التفكير العلمي في أذهان التلاميذ، بعدة وسائل منها:

(أ) أن يتصف الرائد العلمي للفصل أو لفريق من التلاميذ، بكفاءةٍ واستعداد خاص وبشخصيته المعرفية.

(ب) أن يكون لدي الرائد العلمي قدرة علي غرس قيم الفكر العلمي المستقل في نفوس التلاميذ.

(ج) زرع روح المنهج العلمي من الحُرِّيَّة والموضوعيَّة والتفكير العلمي في نفوس النشء.

(د) إقامة الجماعات العلميَّة والاستكشافيَّة في المدرسة.

(هـ) تشجيع المدرسة للرحلات والزيارات العلميَّة لطلابها.

(و) منح الحوافز الخاصَّة والعامَّة للطلاب المتميزين في الأنشطة العلميَّة والعمليَّة.

أهمية الكتاب العلمي للأعمار المختلفة:

الكتاب العلمي مهم جدًّا للأعمار والمراحل السنية المختلفة، ولا يقتصر تأثيره علي مرحلة واحدة فقط، ونستطيع أن نُشير إلي هذه الأهمية من خلال ما يلي:

١ـ طفل ما قبل المدرسة:

الكتاب العلمي مهم لطفل ما قبل المدرسة، ولكنَّه كتاب لولي الأمر من أجل إنماء الطفل، وليس للطفل نفسه. ويُصاحب الكتاب مجموعة من الصور والنماذج، ويتضمَّن تعليمات مبسطة لولي الأمر لكيفية ملاحظة أنشطة الطفل نفسه والأفعال التي يقوم بها واستثمارها، ليكتشف الطفل بعض العلاقات وربما الظواهر البسيطة وليعطي بعض التفسيرات، فالطفل في أوائل هذه المرحلة يقوم بعدد لا يحصي من النشاطات تتضمَّن التعامُّل مع المكان، والزمان، والمادة، والسببية، وكُلَّها تساعد في بناء وتشكيل البنية المعرفية للطفل.

٢ـ طفل المدرسة:

أمَّا الكتاب العلمي لطفل المدرسة، وهي التي تشمل المرحلة العمرية من ٦ إلي ١١ سنة، وهي مرحلة العمليات الحياتية المجسمة عند « بياجيه »، والتي يبدأ فيها التفكير المُسميّ بـ «المنطق الرياضي »، حيث أن طفل هذه المرحلة يُفكِّر باستخدام

العمليات، وأنَّ فكره المنطقي يكون مبنياً ــ بصورةٍ جزئيةٍ ــ علي التعامُّل مع أشياء حياتية، فالطفل هنا يستوعب خبرات جديدة ويُكيِّف بنيته المعرفية السَّابقة للخبرات الجديدة نتيجة أفعال يقوم بها بناءً علي أشياء محسوسة.

وطفل هذه المرحلة قادر علي القراءة، ولذلك يقرأ الكتب العلميَّة المكتوبة بلغةٍ تتفق مع قدراته القرائية وتثري جعبته اللُّغوية، وتهدف أساساً هذه الكتب في هذه المرحلة إلي تنمية ذكائه بقصد تحسين قدرته علي حلِّ المشكلات من خلال تدعيم قدراته علي القيام بالعمليات المنظومة.

فالكتاب العلمي لطفل المدرسة يمكن أن يُعالج مفاهيم علمية عديدة تتطلبها مرحلة الطفولة، ويمكنه أن يُحفز الطفل علي التفكير العلمي، وأن يجري بنفسه التجارب العلميَّة البسيطة، كما أنَّ الكتاب العلمي هو وسيلة ليتذوق الطفل بعض المفاهيم العلميَّة وأساليب التفكير الصحيحة والسليمة، وكذلك يؤكِّد الكتاب العلمي لطفل هذه المرحلة تنمية الاتجاهات الإيجابيَّة للطفل نحو العلم والعلماء، والأسلوب الأمثل للتقدُّم الحضاري من خلال الإثراء الواعي للبنية المعرفية للطفل، وإشباع حاجته لحُبِّ الاستطلاع، وزيادة طاقته للتعليم العلمي، وبذا ينموّ الذكاء لدي الطفل نمواً متكاملاً.

كيفية تعليم الأطفال التفكير العلمي والمنطقي:

إنَّ العلاقة بين نموّ العقل والقدرات للفرد تفاعلية، فالخبرة تيسر النموّ العصبي، والنموّ العصبي يُساعد المستويات العُليا للتعلُّم، وهناك مؤشرات تدل علي أنَّ النموّ العصبي لا يكتمل قبل مرحلة المراهقة، فالكتاب العلمي ــ إذاً ــ قادر علي تنمية قدرات الطفل علي حلِّ مشكلاته، وبالتالي تنظيم وتنمية ذكائه القابل للنمو أساساً.

وحول كيفية تعليم أطفالنا أسس التفكير العلمي والمنطقي، فهناك عدة مفاهيم أساسية وضعها العلماء لتنمية الذكاء لدي الطفل عن طريق تعليم الرياضيات وبدء الابتكار(وذلك بصفتها أصل للعلوم كُلِّها) للطفل، ولذلك فإن تربية التفكير الرياضي والابتكاري هدف كبير يجب أن نسعى إلي تحقيقه للأطفال عن طريق:

١. دراسة العلاقات الضرورية والمُحدَّدة التي تتعلَّق بالأطوال والأحجام والأوضاع لمختلف الأشياء المادية وغير المادية التي تقع تحت حواسنا.

٢. استثمار وتوازن وظيفتان هامتان منذ الطفولة المبكرة، هما: استمرار المناشط الإدراكية للطفل، وظهور نمط من

التفكير ممَّا يزود الطفل بأدوات منطقية أكثر تكاملاً في الوقت المناسب.

٣. تناول مجموعات مُحدَّدة ومتنوِّعة من الأشياء تختلف طبقاً لطبيعتها وأشكالها وألوانها وأوضاعها، ويجب تدريب الصَّغير علي التفكير فيما يفعل، وذلك خلال التعرف علي أوجه التشابه وأوجه الاختلاف، ليستنبط شيئاً فشيئاً، أوَّلاً بطريقة حَدْسية واعية وواضحة، لكُلِّ مفهوم مُجرَّد، هو مفهوم العدد، وتبعاً لذلك، يبني الصَّغير صرح بنائه المعرفي تبعاً لقدراته واهتماماته وخبراته اليومية.

٤. اللَّعب أحد مراحل أي اكتشاف أو اختراع رياضي، بل هو أوَّل مرحلة فيه، ولا يقف الاكتشاف أو الاختراع عند سن مُعيَّنة، فتاريخ الرياضيات مثلاً، حافل برياضيين ابتدءوا به في سنٍ مبكرة، ولابدّ من ملاحظة أي علامات ابتكاريه داخل اللَّعب، وتنبيه الطفل إليها وتشجيعه علي هذا الابتكار.

٥. التبسيط مع الأطفال، في خلق التفكير العلمي، وهذه تعتبر الخطوة الأوَّلي في تنمية هذا التفكير، فجميع الأفكار الكبيرة هي أصلاً أفكار صغيرة بسيطة، وزرع التفكير الهندسي والرياضي والابتكاري، يكون بمستويات

مُتعدِّدة وبأبسط صورة، وهي التي تأتي عن طريق تعامُّل الفرد منذ الصِّغر مع أشكال ومجسمات في الفراغ، لتتم عملية اختبار الحواس وليختبر الحَدْس والتخيُّل والفهم الهندسي، ثُمَّ يكتشف من خلالها عالماً هندسياً جديداً.

٦. يجب التشويق من جميع أفراد الأسرة أو الأصحاب والأصدقاء في عملية تربية التفكير الابتكاري الرياضي وعدم الغضب من الأطفال عند الخطأ في التفكير بل توجيههم بأسلوب لين ومرن.

الكتب العلميَّة المترجمة:

وهي بالغة الأهمية لانفتاح الطفل على الحضارات المختلفة، وتنمية خياله وتعميق وتوسيع معلوماته.إنَّ ترجمة الكتب العلميَّة لزيادة معلومات الطفل وفهمه لنفسه وزملائه وللعالم الذي يخرج عن نطاق أفقه المباشر لكي يتعلَّم كيف يواصل عملية النموّ في مختلف نواحي الحياة.

ولكن نلاحظ أنَّ هناك العديد من الكتب العلميَّة المترجمة مثل قصَّص الرَّجل الخارق، والرجل الأخضر، تلجأ إلي تفهيم الأطفال فهما خاطئاً ومخالفاً لطبيعة البشر، ممَّا يؤدي إلي فهم الأطفال لمجتمعهم والمجتمعات الأخرى فهما خاطئاً، واستثارة

دوافع التعصُّب والعدوانية لديهم، ولذا فقد أصدرت «اليونسكو» تقريراً مهماً أكَّدت فيه الأضرار الجسيمة التي تُقدِّمها مجلات سوبرمان، وطرزان، والتي تعد من الدرجة الثانية من حيث الوعي والإلهام، فضلاً عن خلوها من الأفكار الجديدة، وأنَّها قصَّصاً خياليةً دون سند عقلي أو أساس علمي، وحتى كتب الأطفال المترجمة، والمتضمنة الكثير من الفكاهة، عبارة عن منافسة بين طرفين، وتجعل الصِّراع بينهما حتي الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء المنافسة بأسلوب مضحك.

ولذا يجب الحذر الشديد عند ترجمة الكتب العلميَّة للطفل، ويجب حذر الوالدين عند شرائهما كتب علمية أو كتباً للخيال العلمي المترجم، ويجب أن تتم قراءة الكتب من قِبَل الوالدين أوَّلاً للنظر في صلاحيتها لطفلهما حتي لا تنعكس بالسلب علي ذكاء الطفل.

الكتب المدرسيَّة العلميَّة:

كتاب المدرسة في العلوم لابدّ وان ينطلق من مقومات كتاب الأطفال الجيد، فلابدّ أن يزود الطفل بالمعلومات بشكلٍ مبسط وموجز وسريع، ويُقدِّم لهم الصورة الذهنيَّة والفكريَّة والوجدانيَّة، ويُفسِّر لهم المعاني التي قد تتكوَّن في خاطرهم، وتترجم لهم التصوُّرات في شكل كلمات أو رموز أو رسوم مطبوعة لتصبح أخلد وأبقي ألوان المعرفة.

ولذلك فكتاب المدرسة لكي يصبح مؤثراً في تنمية التفكير العلمي للطفل يتمّ ذلك عن طريق مجموعة متكاملة من العوامل تتمثل بعضها فيما يلي:

١. تنقية الكتب المدرسيَّة من الأخطاء العلميَّة بمراجعتها بواسطة متخصصين مؤهلين في مادة الكتاب.

٢. مراجعة النصوص الواردة في كتب الأطفال الخاصَّة بالخيال العلمي بواسطة خبراء متخصصين في الفروع المختلفة في العلوم.

٣. آن تتضمَّن كتب المدارس غير المنهجية، حتي الخيالي منها، قدراً معقولاً من العلم والحقائق العلميَّة.

٤. أن تنقي كتب الأطفال وبخاصَّة المترجمة منها من القصَّص للرجل الخارق أو السوبرمان لتحلّ محلَّها البطولات الإنسانيَّة المعقولة، وألاَّ يبالغ المضمون المترجم في تمجيد القوَّة والمشاهد المفزعة.

٥. أن تعني الكتب بكُلِّ ما هو جديد من الاكتشافات العلميَّة، والأفكار المستحدثة وان تحرص علي تقديمها للطفل بعد تبسيطها .

٦. أن تعنـي الكتـب المدرسـيَّة بالتـراث العلمـي، وتسـتلهمه في الموضوعـات والقصَّـص التـي تُقـدَّم للطفـل، ويمكـن إصـدار كتيبـات في مناسـباتٍ مُعيَّنـةٍ تتنـاول المواقـف والأحـداث العلميَّـة.

ثانيًا: كتب الخيال العلمي:

الخيـال بصفـةٍ عامَّـة، ليـس بالشـيء المنفصـل عـن الواقـع، ولا بالشـيء الحُـرّ المُطلـق الـذي لا يتصـل بمجـالات الحيـاة التـي نعيـش فيهـا، فالفـرد نفسـه، بـل كُلّ مـا يُفكِّـر فيـه، مـا هـو إلاَّ حصيلـة التجـارب والخبـرات التـي اكتسـبها نتيجـة التفاعُـل المسـتمر بينـه وبـين المحيـط الـذي يوجـد فيـه.

فالخيـال إذاً هـو تلـك القـدرة علـي تصويـر الواقـع في علاقـاتٍ جديـدة، وكذلـك في القـدرة علـي تقمُّـص الأشـياء وتمثيلهـا.

ولقـد حبـا اللّه الطفـل بميـزة فطريـة وهـي القـدرة علـي التخيُّـل الجامـح، والتخيُّـل المسـتقبلي والتخيُّـل التنظيـري، فالقـدرة علـي التخيُّـل ملتصقـة بالطفولـة وصفاتهـا، والخيـال يتعـدَّد بتعـدُّد مراحـل الطفولـة، فهـو ينمـوّ مـع الطفـل منـذ مولـده،ويتيـح لـه الفرصـة للتفكيـر والنبـوغ.

وكذلك فالخيال العلمي للطفل مهم جدًّا، وهو خيال لازم لكُلِّ طفل، ومن خصائص الطفولة التخيُّل والخيال الجامح، فأدب الخيال العلمي وقصَّصه مهمة للغاية لتكوين الطفل (نظراً لالتصاق هذا الأدب بالعلم النظري والتطبيقي، ونظراً إلي مضامينه السيكولوجيَّة والاجتماعيَّة والأيدلوجيَّة)، بل أخذ يدمج التطلعات والأماني الأدبيَّة والفنيَّة الجماليَّة بالنظرة العلمية للأشياء.

ولتربية الخيال العلمي لدي الطفل منذ سن مبكرة أهمية بالغة، وهذا يتمّ في البيت والمدرسة، وبوسائل عديدة، لعلّ أهمها القصَّص الخيالية أو الخرافية التي يتلوها الكبار أو يروونها للأطفال، وخصوصاً قبل النوم، شريطة أن تنطوي تلك القصَّص الخرافية علي مضامين أخلاقية إيجابيَّة، وأن تكون سهلة واضحة المعني بالنسبة للأطفال، وتثير اهتمامهم، وتداعب مشاعرهم المرهفة الرقيقة، وكذلك يؤدي لتنمية الذكاء من هذا النوع من الأدب القصَّص العلميَّة الخيالية للاختراعات والمستقبل، فهي مُجرَّد بذرة لتنمية الخيال وتجهيز الطفل وعقله وذكائه للاختراع والابتكار.إذاً.. فكتب الخيال العلمي لها نصيب وافر من الاهتمام بتنمية ملكات الذكاء والتفكير لدي الأطفال الصِّغار.

ثالثًا: كتب الشعر للأطفال:

الإيجاز والموسيقي عاملان يجعلان الشعر وسيلة مهمة لتنمية ذكاء الطفل وذاكرته، فالشعر ما هو إلاَّ فنّ يعتمد أساساً علي

اللُّغة، فإذا ما تكوَّن لدي الطفل رصيد من اللُّغة نتيجة لحفظه الشعر والاستماع إليه، ساعد ذلك علي نموّ ذكاء الطفل الذي يعتمد أساساً علي الذاكرة. فالذكاء والذاكرة قدرتان يعتمد عليهما الطفل من أجل الحصول علي المهارات الأساسية من التعليم، وفهم العالم المُحيط به، والتفاعُّل معه،فالشعر ما هو إلاَّ نوع من الإبداع، والإبداع ما هو إلاَّ عملية عقليَّة تتولَّد بها أشياء جديدة.

وحُبّ الشعر عند الأطفال قد تخلق فيهم الملكة الإبداعيَّة، والطفل المبدع، يمتاز بقدرةٍ أكبر من الطفل العادي في الإحساس بالمشكلات والتفاعُّل معها، وهو يتميَّز أيضاً بطلاقة في الموهبة الإبداعيَّة، ويمتاز بالمرونة والتجديد، كما أنَّ الطفل المبدع أساساً مُفكِّر مستقل وإبداعه أمر شخصي، وله مستوي ذكاء مرتفع وذاكرة قويَّة تسهم في تنمية ملكاته الفكريَّة والإبداعيَّة.

والشعر يُشارك في تنشئة الطفل وتربيتهم تربية متكاملة، فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات، كما يمدَّهم بالألفاظ والتراكيب التي تُنمِّي ثروتهم اللُّغويَّة وأحاسيسهم والتذوق الأدبي للطفل، ويُساعد الشعر أيضاً علي انفتاح وفاعلية الطفل مع ثقافة المجتمع.

وتعود أهمية شعر الأطفال إلي أهداف هذا الشعر وهي عديدة، ومنها:

١. تحقيق المتعة وإثارة البهجة في نفس الطفل.

٢. إثراء خيال الطفل وتنمية قدراته علي الابتكار.

٣. تنمية الثروة اللُّغويَّة للطفل وتنمية قدراته علي النقد والتقويم.

٤. تنمية الذوق والحس الفني والأدبي للأطفال.

٥. يثقف الشعر عقول التلاميذ، ويهذب نفوسهم، ويرقي خيالهم، ويُحبّبهم في الأدب العربي وتراثه الضخم.

كما أنَّ شعر الأطفال يختلف عن شعر الكبار في العديد من الفروق، منها: بساطة الفكرة التي يدور حولها شعر الأطفال، وأن تكون هذه الفكرة ذات مغزى أو هدف تربوي، وكذلك المعاني التي تشتمل عليها الشعر بأن تكون معاني حسية يستطيع الطفل فهمها وإدراكها، كما أنَّ لُغة شعر الأطفال يجب أن تكون بسيطة خالية من المفردات غير المألوفة، وأن تكون الكلمات المستعملة مأخوذة من معجم كلمات الأطفال، وفوق ذلك، فإن شعر الأطفال الجيد، يهدف إلي تربية التذوق الأدبي ويضفي الجمال والسحر علي التعبير والحديث عن خيالات الشعر وصوره.